



دراسة دلالية سياقية لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَضِرٌ﴾ [28: القمر] وعلاقته بالتركيب المشابهة وموضوع السورة

ريم غازي القاضي* أ.د. جهاد محمد نصيرات** أ.د. سليمان محمد الدقور***

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن دلالة التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَضِرٌ﴾ [28: القمر]، وبيان العلاقة التي تربطه بالتركيب المشابهة وموضوع السورة، واعتمدت المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، وخُصِّصَتْ إلى مجموعة من النتائج أهمها: أنَّ للتركيب دلالة خاصة نابعة من بنية ألفاظه وسياق وروده؛ إذ دلَّ لفظ (شَرِب) على الحظِّ المعين المخصوص من الماء، ودلَّ لفظ (مُخْتَضِر) على الحضور المتحقق الظاهر، مما أفاد أنَّ القسمة على الماء منضبطة ظاهرة لا مجال فيها للتعدّي أو الخفاء. كما كشفت الدراسة عن تكامل دلالي بين هذا التركيب والتركيب المشابهة، من خلال تنوع أساليب البيان في عرض القسمة بين المكانية والزمانية، وبين بيان تعيين النصيب في الاستحقاق، بما يتسق مع الغاية من الآيات المرسلة إلى الخلق، مما أسهم في بيان ماهية معجزة الناقة في انضباط شربها وقسمته. وتبين كذلك أنَّ للتركيب دوراً محورياً في السورة؛ لاندراجها ضمن نسقها العام في التذكير بآيات الله، وبيان مواقف المكذبين وعاقبة تكذيبهم. الكلمات الدالة: شَرِب، مُخْتَضِر، دلالة التركيب، سورة القمر.

* طالبة دكتوراة، الجامعة الأردنية. reemqadi80@gmail.com

** كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

*** كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

1- المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن في كتاب الله معاني لا ينضب معينها، وتكشف عن مرادها لمن جعل مراد الله فوق مراده، وسار على نهج الله في الوقوف على مراد منهجه، وجعل العلم أدواته، ودرب العلماء مرشده، وركب الهمة للوصول إلى همه. وإن أعظم همّ للمسلم أن يكون قرأناً يمشي على الأرض ليرضي ربه، ويصل إلى غايته، ولا يكون ذلك إلا من خلال الوقوف على معاني القرآن وتدبره، والعمل بما جاء فيه، والتخلق بأخلاقه. وتتجلى معانيه من خلال حروفه، وألفاظه، وتراكيبه، وآياته، وسوره، ومقصده الأعظم وهو تحقيق هدايته. ومن هنا، أردت في هذا البحث أن أتناول في الدراسة تركيباً من كتاب الله، وهو التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر]، للوقوف على دلالاته، وعلاقته بالتراكيب المشابهة وموضوع السورة.

2- مشكلة البحث:

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن السؤال الرئيس الآتي:

ما الدلالة اللغوية والسياقية للتركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر] ، في ضوء علاقته بالتراكيب المشابهة وموضوع السورة؟
ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- أولاً: ما الدلالات التي تكشف عنها ألفاظ التركيب محل الدراسة؟
- ثانياً: ما العلاقة التي تربط التركيب - محل الدراسة - بالتراكيب المشابهة؟
- ثالثاً: ما العلاقة التي تربط التركيب - محل الدراسة - بموضوع السورة؟

3- أهمية البحث:

أولاً: يقدم منهجية لدراسة التركيب القرآني من خلال مثال تطبيقي، مما يفيد في الدراسات الدلالية للتراكيب.

ثانياً: يكشف وجه من وجوه الإعجاز القرآني في الدراسات الدلالية، مما يفيد في الدراسات المتعلقة بإعجاز القرآن الكريم.

ثالثاً: يبين صلة التراكيب القرآنية في تقرير الوحدات الموضوعية للسور.

4-أهداف البحث:

أولاً: الكشف عن دلالات ألفاظ التركيب محل الدراسة.

ثانياً: الكشف عن العلاقة التي تربط التركيب - محل الدراسة - بالتراكيب المشابهة.

ثالثاً: بيان العلاقة التي تربط التركيب - محل الدراسة - بموضوع السورة.

5-الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة قرآنية متخصصة تناولت دراسة التركيب القرآني: قوله تعالى: ﴿كُلُّ

شَرِّبٍ مُّخْتَصِرٌ [28: القمر] ، وإنما وقفت على بعض الدراسات اللغوية التي اقتصررت على ذكر التركيب كمثال يقع ضمن مباحثها، ومنها:

أولاً: دراسة بعنوان: " مباحث لغوية في سورة القمر "، للمؤلف: عسكر بابا زاده أقدر (2022)، جامعة الكوفة - كلية الآداب، مجلة اللغة العربية وآدابها، (35)، 323-350.

حيث تناولت الدراسة الوقوف على ملامح الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال سورة القمر، وذلك بدراسة بعض المباحث اللغوية في السورة، والتمثيل عليها ببعض ألفاظها وتراكيبها وآياتها.

وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في أنها استعرضت بعض النماذج اللغوية، وذكرت التركيب - محل الدراسة - كمثال ضمن نموذج الأسماء النكرة الواردة في سورة القمر، ولم تتناوله بالدراسة وإنما اكتفت بذكره فحسب. بينما يُعد هذا التركيب هو محل دراسة هذا البحث، وتُعدُّ دراسته من الناحية اللغوية هي إحدى جوانب دراسته الدلالية السياقية.

ثانياً: دراسة بعنوان " الإعجاز البلاغي في سورة القمر "، للمؤلف: عزيزة الصيفي (2008)، جامعة الأزهر-حولية كلية اللغة العربية بالقازيق، 2 (28)، 1695-1776.

حيث تناولت الدراسة الوقوف على ملامح الإعجاز البلاغي في سورة القمر كاملة من خلال دراستها دراسة تحليلية، والكشف عن بعض الجوانب البلاغية في ألفاظها وتراكيبها.

وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في أنها تناولت الآية المتضمنة للتركيب - محل الدراسة - بالتحليل للوقوف على ما في ألفاظها وتراكيبها من بلاغة كسائر آيات السورة. بينما أفرد هذا

البحث التركيب بدراسته دراسة دلالية سياقية مفصلة؛ بحيث تبين الدلالات المعجمية لألفاظه، والاستعمال القرآني لتلك الألفاظ، ومقارنته بالتركيب المشابهة وموضوع السورة.

6. المنهج العلمي الذي اتبعته في البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي للوقوف على العناصر المُشكّلة لوحدة السورة المتضمنة للتركيب - محل الدراسة - من خلال آياتها، ولتتبع المادة العلمية المتعلقة بتحليل التركيب من مظانها. واتبعت كذلك المنهج التحليلي لتحليل عناصر السورة، وتحليل التركيب والوقوف على دلالاته. واتبعت كذلك المنهج الاستنباطي لاستنباط الدلالات والإشارات الخاصة بكل عنصر من عناصرها، واستنباط المعاني من مفردات التحليل.

7. خطة البحث:

وقد قسّمتُ مادة البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي: المقدمة وتشتمل على: التقديم، ومشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج العلمي المتبع في البحث، وخطة البحث، وفيه:

التمهيد: تعريف عام بسورة القمر

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة القمر

المطلب الأول: العناصر الموضوعية المُشكّلة للوحدة الموضوعية في سورة القمر

المطلب الثاني: العناصر اللفظية المُشكّلة للوحدة الموضوعية في سورة القمر

المبحث الثاني: دلالة التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر] وعلاقته بالتركيب المشابهة وموضوع السورة

المطلب الأول: دلالة الألفاظ في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر]

المطلب الثاني: علاقة التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر] بالتركيب المشابهة

المطلب الثالث: علاقة التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر] بموضوع السورة الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث.

8-تمهيد:

تعريف عام بسورة القمر

ورد اسم سورة القمر بالمصاحف بهذا الاسم، إلا أنني لم أقف على حديث يصرح بذكر اسم السورة: (القمر)، وإنما وردت عدة أحاديث تشير إلى حادثة انشقاق القمر، وذكر إحدى آياتها وبالأخص الآية الأولى منها التي تتضمن الكلام عن انشقاق القمر، أو في ذكر فضلها، وهو ما روي عن عبيد الله بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحية والفطر؟ فقال: "كان يقرأ فيهما بـق والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر" (1).

وقد نزلت سورة القمر في مكة المكرمة (2) (3)، وكان أهل مكة قد سألوا النبي ﷺ آية. فقد جاء في سبب نزولها: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: "سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً، فَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [1: القمر] إِلَى قَوْلِهِ ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [2: القمر] "يَقُولُ: ذَاهِبُ" (4). ويبلغ عدد آيات سورة القمر: خمس وخمسون (5)، "باتفاق، ولا خلاف فيها" (6).

وتقع سورة القمر بين كل من سورتي النجم والرحمن وفق ترتيب المصحف. وتناسب سورتي النجم والقمر في الموضوعات المشتركة بينهما؛ حيث سلطت سورة النجم الضوء على التذكير بأعظم دليل على صدق النبوة وهو القرآن الكريم، وعلى موقف المشركين من النبي ﷺ، وتبكيه الله لهم وإنذارهم لإعراضهم عنه واتباعهم ما لا دليل عليه. ثم انتقل فيما بعد الحديث في سورة القمر عن التذكير بالأدلة على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومواقف أقوامهم منهم، ومصيرهم الذي انتهوا إليه في الدنيا، والذي ينتظرهم في الآخرة.

كما تتناسب سورتي القمر والرحمن في الموضوعات المشتركة بينهما؛ حيث قدمت سورة الرحمن مزيداً من بسط الأدلة والتفصيل فيها عما جاء في سورة القمر، حيث يقول الغرناطي: "ثم قد تمهد أن سورة القمر إعدار، ومن أين للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يزدادوا إلى بسط الدلالات، وإيضاح البينات إن يعذر إليهم زيادة في الإبلاغ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ [1-2: الرحمن]. وكما أن المضمون كان فيه مزيد من بسط الأدلة والتفصيل فيها، كان كذلك التفصيل في الجزاء المترتب على التصديق بها،

والعقوبة المترتبة على الإعراض عنها والتكذيب بها. يقول السيوطي: " أقول: لما قال سبحانه وتعالى في آخر القمر: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [46: القمر]، ثم وصف حال المجرمين في سقر، وحال المتقين في جنات ونهر، فصلّ هذا الإجمال في هذه السورة أتم تفصيل، على الترتيب الوارد في الإجمال " (7).

المبحث الأول:

الوحدة الموضوعية لسورة القمر:

يقتضي الوقوف على الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة دراسةً مجموعة من العناصر الكاشفة عنها، بما يُفضي إلى تحديد موضوعها الرئيس، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: العناصر الموضوعية المُشكّلة للوحدة الموضوعية في سورة القمر

المطلب الثاني: العناصر اللفظية المُشكّلة للوحدة الموضوعية في سورة القمر

المطلب الأول: العناصر الموضوعية المُشكّلة للوحدة الموضوعية في سورة القمر

بالنظر في آيات السورة الكريمة، ومقاطعها، وموضوعاتها، فإنه يُلاحظ بأنّها تتألف من ثلاثة مقاطع، وتتضمن موضوعات مشتركة فيما بينها، وبينها كما هو آت:

أولاً: مقاطع السورة:

تتألف السورة الكريمة من ثلاثة مقاطع رئيسة، وتضمنت الحديث عما هو آت:

المقطع الأول: الآيات (1-8): تكذيب المشركين بالنبي ﷺ، والإشارة إلى حالهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَفَتَرَبَّتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢... ۝٧ مُّهِطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [8-1: القمر].

المقطع الثاني: الآيات (9-42): تكذيب الأقوام السابقة بأنبيائهم وعاقبتهم، وهم: (نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وفرعون)، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ۝١٠... وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ التَّنْذِرُ ۝١١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ۝٤٢﴾ [9-42: القمر].

المقطع الثالث: الآيات (43-55): عاقبة المكذبين والمُصدِّقين بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ ٤٤ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥... وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّدْكِرٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٥﴾ [القمر: 43-55]

ثانياً: موضوعات السورة: وقد اشتملت السورة الكريمة على الموضوعات الآتية:

1. التذكير بالآيات الدالة على صدق الأنبياء: ومن الأدلة التي صرّحت بذكرها السورة الكريمة: انشقاق القمر: وهو دليل حسيّ على صدق النبي ﷺ، وقد جاء في سياق التحذير من قرب قيام الساعة، قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ١﴾ [1: القمر]. فالمراد بانشقاق القمر في هذا الموضع هو انشقاؤه على الحقيقة، كما تقدم عند الحديث عن سبب نزول السورة، وبه قال جمهور المفسرين (8).

الناقة المرسلة إلى قوم ثمود: جاءت الناقة دليلاً على صدق نبهم صالح عليه السلام، وقد وردت في سياق الفتنة والاختبار، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ٢٧﴾ [27: القمر]. وقد تكرر ذكرها في مواضع متعددة من القرآن الكريم بوصفها آية دالة على صدقه عليه السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَنْقُومُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ٣٠ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ... ٧٣﴾ [73: الأعراف].

- القرآن الكريم: دليل على صدق النبي ﷺ، وقد جاء في سياق الدعوة إلى التذكر والاعتبار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدْكِرٍ ٧﴾ [17: القمر].

2. مواقف أقوام الأنبياء من دعوتهم:

1- الإعراض: قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا... ٢﴾ [2: القمر].

2- التكذيب: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ٣﴾ [3: القمر].

3- الاتهامات الباطلة: (ويقولوا سحر مُستمرّ، وقالوا مجنون وازدُجِر، فقالوا... بل هو كذاب أشر).

4- تعدد المرجعية: قال تعالى: ﴿...وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ...﴾ [3: القمر]، وقال: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [24: القمر].

5- التأمر: كما فعل قوم صالح بعقرهم الناقة، قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [29: القمر]، وما فعله قوم لوط عليه السلام في مرادته عن ضيفه لفعل الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ...﴾ [37: القمر].

3. عاقبة المكذبين بأنبيائهم:

1- الهزيمة: كهزيمة المشركين زمن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [45: القمر].

2- العذاب: كعذاب قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿... فَأَلْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [12: القمر]، وقوم هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [20: القمر]، وقوم صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ [31: القمر]، وقوم لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [34: القمر]، وقوم موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [42: القمر].

3- الذلة: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ ٦ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكُفْرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ٨ مَسْجَى [6-8: القمر].

4. عاقبة المصدقين بأنبيائهم:

1- النُصرة والنجاة في الدنيا: قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَتَى مَغْلُوبٌ فَانْتَصَرَ﴾ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ ﴿[10-14: القمر].

2- النعيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٤﴾ [54: القمر].

3- العزة: قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٥﴾ [55: القمر].

وعند إمعان النظر في آيات السورة الكريمة، ومقاطعها، وموضوعاتها التي تضمنتها، فإنه يُلاحظ بأنها تدور حول موضوع رئيس، وهو: التذكير بالآيات الدالة على صدق الأنبياء، والتحذير من عاقبة اتباع الهوى والتكذيب بهم مع قيام الدليل على صدق دعوتهم (9).

حيث افتتحت السورة الكريمة في آيتها الأولى بما يجمع بين التحذير المنذر بعقاب المكذبين، والمتمثل في اقتراب الساعة، وبين التذكير بآية اعتبرت دليلاً على قرب وقوعها، بما يستدعي وجوب الاستعداد لها، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ١﴾ [1: القمر]. وخُتمت السورة بالتذكير بالساعة وأهوالها، والدعوة إلى الاعتبار بمصير المكذبين، مع الإشارة إلى جزاء المتقين، قال تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ ٦١.... وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٥﴾ [46-55: القمر]. وما بين الافتتاح والخاتمة، عرضت السورة مواقف أقوام الأنبياء من دعوتهم، وبيّنت عاقبة المكذبين بهم، مع الإشارة إلى مآل المصدقين.

وفي ضوء ما سبق، يمكن أن يُلاحظ أنَّ الآية المحورية في السورة هي قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ ١٠﴾ [28: القمر]؛ لما اشتملت عليه من تصويرٍ لدليلٍ حسيٍّ ممتدٍّ في حياة القوم، تُقام به الحجة عملياً، وتُنزع به الأعذار، وهو ما ينسجم مع البناء العام للسورة في إدانة التكذيب بالأنبياء مع وجود الأدلة على صدقهم ووضوحها.

المطلب الثاني: العناصر اللفظية المُشكّلة للوحدة الموضوعية في سورة القمر

عند تدبر السورة الكريمة، وإمعان النظر في ألفاظها وتراكيبها؛ فإنه يُلاحظ أنَّ السورة الكريمة قد تضمنت ألفاظاً وتراكيبَ لافتة من حيث تكرار ورودها، أو دلالتها، وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: ألفاظ تكرر ذكرها في السورة:

لفظ: (القرآن): وقد ورد ذكره (أربع مرات)، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾، وذلك في الآيات: (17، 22، 32، 40).

لفظ (الذِّكْر): وقد ورد ذكره (خمس مرات): (للذِّكْرِ، الذِّكْرِ).

لفظ (آية): وقد ورد ذكره (ثلاث مرات): (آية، آياتنا).

لفظ (التكذيب): وقد ورد ذكره (تسع مرات): (وكذبوا، فكذبوا، كذبوا، كذبت، كذاب، الكذاب).

لفظ (النُّذْر): وقد ورد ذكره (اثنتا عشرة مرة): (النُّذْر، ونُذْر، بالنُّذْر، وأنذَرَهُمْ).

لفظ (مُذَكِّر): وقد ورد ذكره (ست مرات): (فهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ).

لفظ (العذاب): وقد ورد ذكره (سبع مرات): (عذابي، عذاب).

وبالنظر في الألفاظ المتكررة ورودها في السورة، يتبين أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوعها العام، الذي كشفت عنه مقاطع السورة وموضوعاتها – كما تقدّم في المطلب الأول – والمتمثل في التذكير بالآيات الدالة على صدق الأنبياء، والتحذير من عاقبة اتباع الهوى وتكذيبهم رغم قيام الدليل على صدق دعوتهم.

ثانياً: ألفاظ وتراكيب تنقسم إلى مجموعتين بحسب دلالتها:
ألفاظ وتراكيب دالة على التفرُّق:

اللفظ أو التركيب	دلالتة على التفرُّق
انشقَّ القمر	الانشقاق
وإن يروا آية يُعرضوا	الإعراض
واتبعوا أهواءهم، أبشراً منا واحداً نتبعه	تعدد المرجعية
فتولَّ عنهم، يُولِّون الدُّبُرَ	التولي
يخرجون من الأجداث	الخروج
كانهم جرادٌ منتشر	الانتشار
ففتحنا أبواب السماء	الفتح
وفجرنا الأرض	التفجير
تركناها آية	التَّرك
تنزع الناس	النزع
﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ...﴾ [28: القمر]	القسمة
كهشيم المحتظر	التهشيم
سَهْرَمَ الجمع	هزيمة الجمع

ألفاظ وتراكيب دالة على الاجتماع:

اللفظ أو التركيب	دلالاته على الاجتماع
اقتربت الساعة	الاقتراب
ولقد جاءهم من الأنباء	المجيء
يوم يدعو الداع	الدعوة إلى
مهيّطين إلى الداع	الإهطاء نحو
فالتقى الماء على أمر قد قدر	الالتقاء على
وحملناه على ذات ألواح ودُسُر	جمع المتفرق
ولقد يسرنا القرآن للذِّكْر	التيسير لـ
إنا مُرسِلوا الناقة	الإرسال إلى
﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر]	الحضور
فنادوا أصحابهم	المصاحبة
فأخذناهم أخذ	الأخذ
وكل شيء فعلوه في الزبر	الإحصاء
وكل صغير وكبير مستطر	الجمع (الكتابة)
في مقعد صدق عند مليك مقتدر	القرب من

وبالنظر إلى الجدولين المتقدمين (1)، (2)، فإنه يُلاحظ أن السورة تشتمل على آيةٍ تتقاطع دلالتها مع مجموعتي التفرّق والاجتماع، وتمثّل موضعاً لافتاً في بنية السورة، وهي قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ [28: القمر]، ويتبيّن ذلك من خلال الملاحظات الآتية:

أ. أن نصفي الآية أحدهما في مجموعة الألفاظ والتراكيب الدالة على التفرّق: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ...﴾، ونصفها الآخر في المجموعة الدالة على الاجتماع: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾.

ب. أنّها تتوسط آيات السورة من حيث العدد، فتقسمها إلى نصفين؛ حيث إنّ عدد آيات السورة الكريمة - كما تقدم - خمسٌ وخمسون آية، ورقم الآية (28)، أي: 27 + (نصفي الآية) = 55.

وهو ما يؤكد على محورية الآية في السورة الكريمة كما تقدم في المطلب الأول.

وبالنظر في ألفاظ السورة وتراكيبها في ضوء موضوعها الرئيس، فإنه يُلاحظ أن السورة تبني تصوراً متقابلاً بين حالي الاجتماع والتفرّق؛ إذ يقترن التصديق بالأنبياء القائم على الدليل باجتماع أمر المؤمنين وانتظامه، بينما يقترن التكذيب بهم بتفرّق أمر الكافرين واضطرابه. كما توجي السورة بأن التفرّق عن الحق وأهله يستلزم اجتماعاً على الباطل وأهله، في حين تتأزر دلائل الكون وأحداثه لنصرة المؤمنين، وتجتمع أسباب الهزيمة على المكذبين، وهو ما يتجلى في تتابع مشاهد العذاب والهلاك في السورة.

ولعل في قراءة النبي ﷺ لهذه السورة في صلاة العيدين (10) إشارةً إلى أثر التصديق به بالقرآن - وهو أعظم دلائل صدق الرسالة - في اجتماع المسلمين على كلمة التوحيد، وانتظام أمرهم حول هدايته.

المبحث الثاني:

دلالة التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ﴾ [28: القمر]: وعلاقته بالتركيب المشابهة وموضوع السورة:

ورد التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ﴾ [28: القمر] في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ﴾ [28: القمر]، وذلك في سياق الحديث عن إهلاك الأقوام السابقة بسبب تكذيبهم أنبيائهم مع قيام الأدلة على صدقهم. وقد جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن قوم ثمود، حيث أرسل الله لهم آية الناقة لتكون فتنة لهم، وقسم بينها وبينهم وقت الشرب من الماء ليحضره في الوقت الذي حُصص له، فلم يصبروا على هذه القسمة، فما كان منهم إلا أن عقروا الناقة ظناً منهم أنهم سيستريحون إن تخلصوا من الدليل، فكان مصيرهم الهلاك، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٣٢﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنْآ إِذَا لَفِئَ صَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٣١﴾... فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٣﴾ إِنْآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣٤﴾﴾ [23-31: القمر].
وبالنظر في التركيب المتقدم، فيلاحظ أنه لافتٌ من حيث بنية ألفاظه، وترتيبها، وسياق ورودها، فضلاً عن ورود تراكيب مشابهة له في سورٍ أخرى، وتميّز في السورة التي ورد فيها.
وللوقوف على دلالة ألفاظ هذا التركيب، وعلاقته بالتركيب المشابهة وموضوع السورة، فسيتناول بالدراسة من خلال ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: دلالة الألفاظ في قوله تعالى: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ﴾ [28: القمر]

المطلب الثاني: علاقة التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ﴾ [28: القمر]
بالتراكيب المشابهة

المطلب الثالث: علاقة التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ﴾ [28: القمر]
بموضوع السورة

المطلب الأول: دلالة الألفاظ في قوله تعالى: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [28: القمر]

أولاً: الدلالة المعجمية لكل من اللفظين: (شَرِبَ)، (مُحْتَضَرٌ):

1. اللفظ (شَرِبَ): مِنْ " (شَرِبَ): الشين والراء والباء أصل واحد مُنْقَاس مطرد، وهو الشُّرْبُ المعروف، ثم يحمل عليه ما يقاربه مجازاً وتشبيهاً " (11).

وقد جاء لفظ (شَرِبَ) لغةً بأربع دلالات، وبيانها على النحو الآتي:

أ. وقت الشُّرْب: وقد قال الزبيدي نقلاً عن شيخه: " قال شَيْخُنَا: قَالُوا إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْوَقْتِ بِضَرْبٍ مِنَ الْمَجَازِ، وَاحْتَلَفُوا فِي عِلَاقَتِهِ، فَتَأَمَّلْ " (12). وهي الدلالة الأقدم قولاً، وقد قال به كلٌّ من (13): الفراهيدي، والهروي عن الليث، وابن منظور، والفيروز أبادي، وذكره أحمد مختار عمر.

الحظ من الماء: قال الفارابي: " والشُّرْبُ بالكسر: الحظُّ من الماء. وفي المثل: " أَخْرَهَا أَقْلَهَا شَرِبًا"، وأصله في سَقْيِ الإِبِلِ، لِأَنَّ أَخْرَهَا يَرِدُ وَقَدْ نَزَفَ الْحَوْضُ " (14). وقد ذكر ابن سعيد قوله تعالى (15): ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [155: الشعراء]. وقد قيل بهذه الدلالة على طول الفترة الممتدة بين القدامى والمحدثين، وهذا القول الذي قال به أكثر أهل اللغة، وقد قال به كلٌّ من (16): الأزدي، والهروي عن ابن السكيت، وابن عباد، وابن فارس، وزين الدين الرازي، وابن منظور، والفيومي، والفيروز أبادي، والزبيدي، وذكره أحمد مختار عمر.

الماء بعينه: ولم يكن هناك فاصل زمني بالطويل بين القول بهذه الدلالة المعجمية والتي سبقتها، وقد قال بها كلٌّ من (17): الهروي وابن منظور عن ابن السكيت، والفيروز أبادي، والزبيدي، وذكره أحمد مختار عمر.

المورد: وقد تأخرت كثيراً هذه الدلالة عن سابقتها، فإن من أوائل من أوردها نقلاً عن ابن زيد هو ابن منظور (18)، وقد قال بها كلٌّ من (19): الفيروز أبادي، والزبيدي عن أبي زيد، وذكره أحمد مختار عمر.

وبالنظر في الدلالات المتقدمة للفظ القرآني (شَرِبَ)، فإنه يُتَوَصَّلُ إلى أَنَّ دلالة (الحظ من الماء) هي الأقرب للمراد القرآني من إرسال آية الناقة، لدلالاتها المباشرة على وجود قسمة، وهي التي قال بها أغلب أهل اللغة. ومع هذا، فإنَّ بقية الدلالات يُلحظ بأنها تشترك كلها في الإحاطة بما يتعلق بالقسمة على الماء؛ وذلك في الدلالة على زمان الشرب ومكانه وعلى الماء ذاته.

اللفظ (مُحْتَضَرٌ): مِنْ (حَضَرَ) الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، ووروده ومشاهدته. وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحداً (20).

وقد جاء لفظ (مُحْتَضَرٌ) لغةً بأربع دلالات، وبيانها على النحو الآتي:
الرجل يصيبه اللمم والجنون: وقد قال بهذا القول كلٌّ من (21): الهروي، وابن منظور، والزبيدي، وأحمد رضا.

كثير الآفة: وقد ذكر الزبيدي أنه من المجاز قول العرب: (اللَّبَنُ مَحْضُورٌ وَمُحْتَضَرٌ فَعَطْلُهُ)، أي كَثِيرُ الآفَةِ؛ تحتضره (الجنُّ) والدَّوَابُّ وغيرها من أَهْلِ الْأَرْضِ (22). والقول (كثير الآفة) قال به كلٌّ من (23): الفارابي، وزين الدين الرازي، وابن منظور، وأحمد رضا.

حضره الموت أو نزل به: وقد ذكر الزبيدي أنه من المَجَازِ: (اِحْتَضَرَ) المَرِيضُ (24). والقول (حضره الموت أو نزل به) قال به كلٌّ من (25): ابن منظور، والفيروز أبادي، وأحمد رضا، وأحمد مختار عمر.

شهد المكان وحضره أو نزل به: وقد ذكر الزبيدي قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ (٢٨)، وقال: "يَحْضُرُونَ حُظُوظَهُمْ مِنَ الْمَاءِ وَتَحْضُرُ النَّاقَةُ حَظًّا مِنْهُ" (26)، وقال أحمد مختار عمر: "يحضره صاحبه في نوبته" (27)، وقال أحمد رضا: "نزل به" (28).

وبالنظر في الدلالات المتقدمة للفظ القرآني (مُحْتَضَرٌ)، فإنه يُتَوَصَّلُ إِلَى أَنَّ الْقَوْلَ: (شهد المكان وحضره أو نزل به) هو الأقرب في استعمال اللفظ (مُحْتَضَرٌ) في هذا التركيب. إلا أنَّ بقية الدلالات يُلْحَظُ أَنَّ فِيهَا مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ مَا يَصْدُقُ عَلَى مَنْ سَيَحْضُرُ الْقِسْمَةَ عَلَى الْمَاءِ أَوْ عَلَى مَحَلِّ حَضْرِهِ.

فالناقة يَصْدُقُ عَلَيْهَا الْلفظ (مُحْتَضَرٌ) الدال على الرجل يصيبه اللمم والجنون، وذلك كونها مخلوق غير عاقل، وكذلك حال المكذِّبين بنبيهم، فحالهم كحال غير العاقل. كما تصدَّق دلالته على محل شرب كل من الطرفين بأنه كثير الآفة، لاجتماع الناقة (الدابة) مع غيرها من أهل الأرض على ذات المحل، وهو وصف يليق أيضاً بالمكان الذي يحضره المكذبون لآفة معتقدهم والأثر الذي يتركونه. وأما دلالته على حضور الموت أو نزوله به، ففيه إشارة لما سيحل بالناقة مِنْ

عقرها والتخلص منها، وما سيحل بالمكذبين من الهلاك جزاء تكذيبهم نبهم، وعقرهم الناقة بعد قيام الحجة عليهم.

ثانياً: الاستعمال القرآني لكل من اللفظين: (شرب)، (مُحْتَضَر):

الاستعمال القرآني للفظ (شرب): ورد اللفظ (شرب) بهذا الاشتقاق مرتين فقط في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [28: القمر]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَّهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [155: الشعراء]، وذلك في سياق الفتنة والاختبار، ويدل في كلا الموضعين على (الحظ من الماء)، حيث يقول الراغب " والشرب: النصيب منه " (29)، وهو ذات القول الذي اعتمد في دلالة المعنى المعجمي.

وقد ورد اللفظ (شرب) في القرآن الكريم باشتقاقات مختلفة، وذلك في سياقات ودلالات متعددة، وبيانها كالآتي:

في سياق الفتنة والاختبار: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ...﴾ [249: البقرة]، ويدل على: فعل الشرب.

أ. في سياق الإنعام على المعرضين عن الله لاستمالتهم إليه بآية من آياته: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ...﴾ [60: البقرة]، ويدل على: "المصدر واسم زمان الشرب ومكانه" (30).

ب. في سياق الأوامر والتوجيهات والتكاليف الإلهية: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [31: الأعراف]، ويدل على: فعل الشرب.

ج. في سياق عبادة الله والاستجابة لأمره: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۖ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ۖ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨...سجى [5-10: الإنسان]، ويدل على: فعل الشرب.

د. هـ في سياق الشرك بالله ومخالفة أمره: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ... ۝٩٣﴾ [93: البقرة]، ويدل على: المخالطة (31).

و. في سياق الجزاء: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿... وَسَقَّيْنَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١﴾ [21: الإنسان]، ويدل على: الماء ذاته.

ز. في سياق العذاب: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ [4: يونس]، ويدل على: الماء ذاته.

ومما تقدم يتضح مدى انسجام الدلالة المعجمية للفظ (شَرِبَ) مع دلالة الاستعمال القرآني له ولسائر اشتقاقاته الواردة في القرآن الكريم. حيث تدور الاستعمالات القرآنية المذكورة آنفاً حول ذات الدلالات المعجمية، وهي: (الحظ من الماء، وزمان الشرب، ومكانه، والماء بعينه). الاستعمال القرآني للفظ (مُحْتَضَرٌّ): ورد اللفظ (مُحْتَضَرٌّ) بهذا الاشتقاق مرة واحدة فقط في القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌّ ۝٢٨﴾ [28: القمر]، وذلك في سياق الفتنة والاختبار، ويدل على أَنَّ الشَّرْبَ: (يحضره القوم وتحضره الناقة)، وهو ذات القول الذي اعتمد في دلالة المعنى المعجمي، وهو: شهد المكان وحضره أو نزل به.

وقد ورد اللفظ (مُحْتَضَرٌّ) في القرآن الكريم باشتقاقات مختلفة، وذلك في سياقات ودلالات متعددة، وبيانها كالاتي:

في سياق الموت: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...﴾ [البقرة: 180]، ويدل على: حضوره أو نزوله به. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: 8]، ويدل على: حضور القسمة على الميراث وشهودها.

في سياق العذاب: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: 16]، ويدل على: حضوره وشهوده، أو نزوله به.

في سياق وصف النفس بما يشينها: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ...﴾ [النساء: 128]، ويدل على: أنها كثيرة الآفة.

أ. في سياق وسوسة الشيطان للإنسان: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: سَمِعَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ۖ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿٩٨﴾ [98-97: المؤمنون]، ويدل على: ما يصيبه من الوسوسة والنزع.

هـ. في سياق اتباع الإنسان العاقل لغير العاقل: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [75-74: يس]، ويدل على: ما يصيبه من الجهل وانطماس البصيرة.

ب. و. في سياق إحصاء الأعمال للجزاء: ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا...﴾ [30: آل عمران]، ويدل على: حضوره وشهوده عليه.

ج. ومما تقدم يتضح مدى انسجام الدلالة المعجمية للفظ (مُحْتَضَر) مع دلالة الاستعمال القرآني له ولسائر اشتقاقاته الواردة في القرآن الكريم. حيث تدور الاستعمالات

القرآنية المذكورة آنفاً حول ذات الدلالات المعجمية، وهي: (شهد المكان أو نزل به، والرجل يصيبه اللطم والجنون، وكثير الآفة، وحضره الموت أو نزل به).

د. وخلاصة ما تقدّم أنّ التركيب القرآني ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [28: القمر]، يدلّ على قسمةٍ منضبطةٍ للماء، قائمةٍ على تعيين نصيبٍ مخصوصٍ لكلِّ طرفٍ، يقع بحضورٍ ومشاهدةٍ ظاهرة. وبذلك يجمع التركيب بين دلالة التعيين والتخصيص في لفظ (شرب)، ودلالة الحضور والشهود في لفظ (مُحْتَضَر)، ليؤدي في سياقه وظيفتهً بيانيةً تتمثل في إظهار إحكام القسمة ووضوحها، وإقامة الحجة على القوم بأيةٍ حسيةٍ بيّنة.

المطلب الثاني: علاقة التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [28: القمر] بالتركيب المشابهة

عند البحث عن التراكيب القرآنية المشابهة للتركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [28: القمر]، فإنه يُلاحظ أن وجه التشابه بينها يتعلق بمسألة (القسمة على الشرب)، وأنّ محل التشابه بينها على نحو أدق هو في دلالة اللفظ (شرب) في تلك التراكيب، وبيان العلاقة بينها على النحو الآتي:

أولاً: التركيب القرآني: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ...﴾ [60: البقرة]، ومن قوله تعالى: ﴿...وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ...﴾ [160: الأعراف].

يتعين في التركيب المتقدم من سورتي البقرة والأعراف الوقوف فيهما على الدلالة المعجمية للفظ (مشرب)، والاستعمال القرآني له، وبيانهما على النحو الآتي:

1. الدلالة المعجمية للفظ (مَشْرَب): يدل هذا اللفظ عند علماء اللغة القدامى والمحدثين على مكان الشرب (32)، وعلى المشروب نفسه (33).

2. الاستعمال القرآني للفظ (مَشْرَب): ورد هذا اللفظ بهذا الاشتقاق ثلاث مرات في القرآن الكريم:

أ. بصيغة المفرد (مَشْرَب) مرتان: في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ من سورتي البقرة والأعراف، وذلك في سياق الحديث عن إحدى الآيات الدالة على صدق موسى عليه السلام، ويدل على: زمان الشرب (34) ومكانه (35).

ب. بصيغة الجمع (مشارب) مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ﴾ [73: يس]، وذلك في سياق الحديث عن الشرك بالله ومخالفة أمره، ويدل على: المشروب نفسه (36).

وقد فرّق أحمد مختار عمر في دلالة اللفظ (مَشْرَب) بحسب سياق وروده؛ فبين أنّه في سياق قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ﴾ [73: يس]، فإنه يدل على المشروب نفسه، بينما في سياق قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ من سورتي البقرة والأعراف، فإنه يدل على مكان الشرب (37)، وهو ما ذهب إليه ابن سيده في قوله: "... وأما ما كَانَ يَفْعَلُ مِنْهُ مَفْتُوحًا فَإِنْ اسْمُ الْمَكَانِ مَفْعَلٌ وَذَلِكَ قَوْلُكَ شَرِبَ يَشْرَبُ وَتَقُولُ لِلْمَكَانِ مَشْرَبٌ " (38).

وعليه فإن التركيب القرآني: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ من سورتي البقرة والأعراف، يدل على (القسمّة المكانية) وذلك بتحديد مكان شرب كل سبط منهم.

ثانياً: التركيب القرآني: ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾: من قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [155: الشعراء].

سبق بيان أن لفظ (شَرِب) في دلالاته اللغوية والسياقية يفيد الحظّ من الماء، وذلك في هذا الموضع، وفي قوله تعالى في سورة القمر: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ [28: القمر]، حيث يدلّ على قسميّة معيّنة منضبطة في الاستحقاق.

إلا أنه في هذا الموضع من سورة الشعراء، فقد قيّد الشرب بـ (يومٍ معلوم)، مما يدلّ هنا على أن القسميّة زمانية، إذ لكلّ من الطرفين شرب يوم معلوم.

ثالثاً: علاقة كل من التركيبين الأول والثاني مع التركيب محل الدراسة: بعد الدراسة لكل من التراكيب الثلاث المتقدمة والنظر فيها، فإنه يُتوصل إلى وجود علاقة بينها، وبينها من خلال الآتي: أنه في سياق إنعام الله على المعرضين عن اتباعه بإرسال النعمة لهم على هيئة آية لتقربهم منه جاءت فيها القسمة مكانية، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، وذلك لأن في القسمة المكانية يكون الحظ من الماء غير محدود من حيث المقدار ولا المدة الزمنية، وهذا من تمام نعمة الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [60: البقرة].

1. أنه في سياق الفتنة والاختبار للمعرضين عن الله عز وجل، فإن الآية المرسلّة إليهم لإقامة الحجة عليهم جاءت فيها القسمة مُعَيَّنَةً منضبطة في الاستحقاق ومحددة زمانياً، وبينها كالآتي:

أ. في التركيب: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ [28: القمر]، بين الله عز وجل أن الماء قسمة بين قوم ثمود والناقاة (غير العاقل)، وأنها مُعَيَّنَةٌ منضبطة في الاستحقاق؛ وذلك أن لكل من الطرفين حظاً من الماء، وأنه يقع كل نصيب بحضور مشهود، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطِرِّمْ﴾ [٧] وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ [28-27: القمر].

فإن في إعلامهم بهذه القسمة في هذا التركيب إشعاراً لهم بالإهانة، إذ وُضِعوا في رتبة البهائم، سيما ما جاء في دلالة ألفاظ التركيب؛ حيث إن الضمير في (بينهم) (39) في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ يعود عليهم وعلى الناقاة، وإنما جُمِعَ جَمْعٌ من يعقل تغليباً للعقلاء. بل إن في التركيب ما جعلهم في الرتبة الأدنى منها؛ ففي استخدام اللفظ (شرب) مع الإنسان يُعد إهانة له، وذلك لاستخدامه في أصله مع الإبل، كما تقدم عند تناول الدلالة المعجمية لهذا اللفظ، من أن أصله في سقي الإبل، لأن آخرها يرد وقد نَزَفَ الحوض.

ويضاف إليها أنَّ الله عز وجل قد قدمها عليهم في الشرب في قوله تعالى: ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾، فيصدق فيهم قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [44: الفرقان]، وهي رتبة المكذبين بأنبيائهم مع قيام الدليل على صدقهم.

ب. في التركيب: ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾، بين الله عز وجل أن القسمة بين قوم ثمود والناقة (محددة زمانياً) بأن لها يوم ولهم يوم، وهذا من مزيد التشديد في اختبار الله لهم، قال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [155: الشعراء].

ومن خلال النظر في العلاقة بين هذين التركيبين، يتبين أن ماهية المعجزة في آية الناقة التي أرسلها الله إلى قوم ثمود إنما تتجلى في قسمة الماء، من حيث تحديد نصيب معين من الشرب مقرون بزمان محدد. وذلك أنَّ الأصل في الناقة كما هو معهود أنَّ لا يكون لها شرب تنتظمه تلك القسمة بأن يكون لها شرب يوم ولهم شرب يوم، وإنما تشرب وفق حاجتها بحيث قد تظل أياماً بلا شرب، حيث يقول زغلول النجار: "أما مواهب الجمل الوظيفية فأبلغ وأبدع، فهو في الشتاء لا يطلب الماء، بل قد يُعرض عنه شهرين متتاليين إذا كان الغذاء غرضاً رطباً أو أسبوعين إن كان جافاً. كما أنه قد يتحمل العطش الكامل في قيظ الصيف أسبوعاً أو أسبوعين، يفقد في أثنائهما أكثر من ثلث وزن جسمه، فإذا ما وجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد في دقائق معدودات" (40). لذا فإنَّ الإعجاز يكمن في هذا الجانب، وهو سلوكها غير المعتاد في الشرب، فجمعهم الله مع الناقة (الدليل) على الشرب، كي تكون حُجة عليهم إن استمروا في تكذيب نبيهم.

ويتضح مما تقدم أنَّ العلاقة بين التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ [28: القمر] والتراكيب المشابهة، قد أسفرت عن التكامل في دلالات تلك التراكيب، وأسهمت في الكشف عن مراد الله، والله أعلم بمراده.

المطلب الثالث: علاقة التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّتَخَضَّرٌ﴾ [28: القمر] بموضوع السورة

تتضح علاقة التركيب القرآني: **سمح...كُلُّ شَرِبٍ مُّتَخَضَّرٌ ٢٨ سجي** [28: القمر] بموضوع السورة من خلال بُعدين اثنين: البنية التركيبية، والبنية الموضوعية للسورة. وبيان تلك العلاقة على النحو الآتي:

أولاً: علاقة التركيب بالبنية التركيبية للسورة:

تدل ألفاظ التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّتَخَضَّرٌ﴾ في سياق الآية الوارد فيها وهو قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّتَخَضَّرٌ﴾ [28: القمر] على المناصفة في النصيب من الماء بين طرفين، ويُشكّل التركيب القرآني نصف تلك الآية.

وقد وردت هذه الآية: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّتَخَضَّرٌ﴾ [28: القمر] في منتصف السورة من حيث عدد الآيات - كما تقدّم -، وفي سياق قصة قوم ثمود التي توسّطت قصص الأقوام؛ إذ جاءت بعد قصتي نوح وعاد، وقبل قصتي لوط وفرعون، كما يتبيّن من قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ٩..... ١١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ٢٣﴾ [9-22: القمر]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّثْنًا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ٢١..... وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٥١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٢﴾ [23-42: القمر].

وقد جاء الحديث عن إعراض الأقوام السابقة ومصيرهم الذي لقوه في المقطع الثاني من السورة الكريمة (9-42)، بحيث يتوسط المقطعين الأول والثالث، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ٩..... وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٥١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ٥٢﴾ [9-42: القمر]؛ فقد جاء الحديث في المقطع الأول (1-8) عن تكذيب المشركين بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ

الْقَمَرُ ١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ٢ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ٣ ﴿[8-1: القمر]. وقد جاء الحديث في المقطع الثالث (43-55) عن مصيرهم ومصير من صدّقه، قال تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ٥.... وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٦ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٧ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٨ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ٩﴾ [55-43: القمر].

ومما تقدم، يمكن أن يُلاحظ أن التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ ٣﴾ يمثل - من حيث موقعه - نقطة محورية في السورة؛ وذلك لما تتضمنه ألفاظه من دلالة على المناصفة، ولموقع الآية التي ورد فيها هذا التركيب بالنسبة إلى المقطع والسورة بأكملها، بما يبرز ترابطه مع البنية التركيبية في السورة.

ثانياً: علاقة التركيب بالبنية الموضوعية للسورة:

لقد دلّ التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضَرٌ ٣﴾ [28: القمر] دلالة مباشرة على صدق النبي صالح عليه السلام؛ إذ جلى طبيعة الدليل الذي جاء به لإقامة الحجة على قومه. فقد تبين - فيما تقدّم من تحليل ألفاظه وبيان تكامل دلالاته عند مقارنته بالتركيب المشابهة - أنه يكشف عن نظامٍ غير معهودٍ في شرب الناقة، من حيث نصيبها المُعَيّن من الشرب المرتبط بزمانٍ محدد؛ الأمر الذي يدلّ على كونها آيةً خارقةً من آيات الله تعالى. كما يمكن أن يُلاحظ أن التركيب قد دلّ أيضاً - على نحوٍ غير مباشر - على حال هؤلاء القوم، وما سيحل بهم؛ وذلك من خلال ما تقدم بيانه من دلالات اللفظين: (شَرِب) و(مُحْتَضَر) واشتقاقتهما من حيث اللغة، واستعمالتهما في القرآن الكريم.

فإنّ في اللفظين ما يُنبئ عمّا سيقع من القوم من التكذيب عقب معاينتهم الدليل، وفيهما تحذيرٌ مما سيحل بهم من الهلاك جزاء تكذيبهم نبيهم وقتلهم الناقة. وقد تجلّى ذلك من خلال دلالة اللفظ (شَرِب) الذي استُعمل في أصله مع الإبل، فكان في استعماله معهم ما يُنزّلهم منزلتها، وهو حال المكذبين نبيهم. كما تجلّى في دلالة اللفظ (مُحْتَضَر)، الذي استُعمل في الدلالة على وصف النفس بما يشينها، ووسوسة الشيطان، واتباع غير العاقل، وإحصاء الأعمال للجزاء عليها، ونزول

الموت والعذاب؛ ما يُشكّل تصوراً عن موقف هؤلاء القوم من الدليل المرسل إليهم، وعمّا سيحل بهم جزاء موقفهم.

ويُلاحظ - في ضوء ما كشف عنه التركيب القرآني من الدلالات المباشرة وغير المباشرة - أنه ينسجم مع البنية الموضوعية للسورة، التي تتناول في مجموعها التذكير بآيات الله الدالة على صدق الأنبياء، ومواقف أقوامهم من دعوتهم، وعاقبة تلك المواقف.

وبناء على ما تقدم، يُمكن أن يُلاحظ أنّ التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَضَرٌ﴾ يُمثّل دلالة محورية في السورة؛ وذلك بالنظر إلى دلالة ألفاظه، وسياق الآية التي ورد فيها، وسياق المقطع الذي جاءت فيه، وسياق موضوعات السورة، واتفاق دلالاته مع موضوعها، بما يبين صلته بالبنية الموضوعية في السورة.

6-الخاتمة:

لقد أودع الله عز وجل في كتابه العزيز أسراراً لا يقف عليها إلا مخلصاً له، ومصاحباً بقلبه وجوارحه لكتابه الشريف، فعلى قدر نقاء محل التدبر تكون الوديعة.

وقد تناولت هذه الدراسة البحث في واحد من التراكيب القرآنية في محاولة للكشف عن بعض الجوانب العلمية الدقيقة المتعلقة بحسن فهم القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَضَرٌ﴾ [28: القمر]. وبعد البحث في هذا التركيب من جوانب لغوية وسياقية وموضوعية، فإنّ الدراسة قد خلّصت إلى النتائج الآتية:

1. أنّ التركيب القرآني له دلالاته الخاصة المترتبة على بنية ألفاظه وسياق وروده؛ فإنّ ما تمّ التوصل إليه في دلالة التركيب القرآني: ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَضَرٌ﴾ [28: القمر]، المكوّن من اللفظين: (شرب، ومُخْتَضَر)، هو أنّ لفظ (شرب) يدلّ على الحظّ المعين والنصيب المخصوص من الماء، بما يفيد من معنى التحديد والتخصيص، وأنّ لفظ (مُخْتَضَر) يدلّ على الحضور والوقوع على وجه الانكشاف والتحقيق، ومن ثمّ فإنّ التركيب في مجموعه يدلّ على أنّ القسمة على الماء قسمة منضبطة ظاهرة، قائمة على تعيين النصيب وإيقاعه حضوراً بحيث لا مجال فيها للخفاء أو التعدي، وهو ما يبرز عدالة القسمة ووضوحها، ويُقيم الحجّة على القوم بأية حسيّة بيّنة.

2. أنّ العلاقة بين التركيب القرآني ﴿...كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَضَرٌ﴾ [28: القمر] والتراكيب المشابهة له في القرآن الكريم تكشف عن تكاملٍ دلاليٍّ مقصودٍ، يُظهر تنوّع أساليب البيان في عرض القسمة على الماء بحسب المقام والسياق؛ فقد جاءت بعض التراكيب دالّة على القسمة المكانية في سياق الامتنان بآيات الله الدالّة على

قدرته وإنعامه، ترغيباً في الإيمان به، وجاءت تراكيب أخرى دالة على القسمة الزمانية أو تعيين النصيب في الاستحقاق في سياق الابتلاء والاختبار، لإقامة الحجة على المكذّبين. ومن خلال هذا التنوع يتبين أنّ معجزة الناقة لقوم ثمود لم تكن في مجرد وجودها، بل في انضباط شربها وقسمته قسمة ظاهرة غير معهودة في موارد الماء، بحيث يكون لها نصيب كامل مقابل نصيب القوم، على وجه مُعلن مشهود، مما يُبرز طبيعة الابتلاء ويُحكم إقامة الحجة عليهم.

3. أنّ التركيب القرآني: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ [28: القمر] يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبنية الموضوعية لسورة القمر؛ إذ لا يقف عند حدّ بيان قسمة الماء بوصفها آية حسيّة، بل يندرج ضمن النسق العام للسورة في عرض آيات الله الدالة على صدق أنبيائه، وبيان مواقف المكذّبين منها، والتحذير من عاقبة التكذيب. فقد دلّ دلالة مباشرة على إقامة الحجة على قوم ثمود بآية منضبطة ظاهرة، كما تضمّن - في دلالاته غير المباشرة - ما يُنبئ بموقفهم من الدليل وبما سيحلّ بهم من جزاء، مما يُبرز انسجامه مع موضوعات السورة، ويؤكد مكانته المحورية في بنائها الموضوعي.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

- (1) النيسابوري مسلم بن الحجاج (توفي 261هـ/875م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، حديث رقم: 891، ج2، ص607.
- (2) ينظر: النحاس، أحمد بن محمد (توفي 338هـ/950م)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، 1408هـ، (ط1)، ص679-680.
- (3) وقد ذكر ابن عباس أن بعضهم قد استغنى قوله تعالى: ﴿سَيُهَـزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥١﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]، إلا أنه ردَّ بأنَّ السياق يأبى هذا الاستثناء، (ينظر: عباس فضل حسن (توفي 1432هـ/2011م)، إتقان البرهان في علوم القرآن، عمان، دار الفرقان، 1997م، (ط1)، ج1، ص395).
- (4) العلي إبراهيم، صحيح أسباب النزول، دمشق، دار القلم، 2014، (ط2)، ص206، الترمذي محمد بن عيسى (توفي 279هـ/893م)، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة، مصر، شركة ومكتبة مصطفى بابي الحلبي، 1395هـ، (ط2)، باب ومن سورة القمر، حديث رقم: 3286، ج5، ص397، وقال: حديث حسن صحيح.
- (5) ينظر: الرازي، الفضل بن شاذان (توفي 290هـ/903م)، سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله، الرياض، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، 1430هـ، (ط1)، ص295.
- (6) شكري أحمد، المبسر في علم عد أي القرآن، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1437هـ، (ط2)، ص191.
- (7) السيوطي جلال الدين (توفي 911هـ/1505م)، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر عطا ومرزوق إبراهيم، القاهرة، دار الفضيلة، 1422هـ، ص136.
- (8) ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب (توفي 542هـ/1148م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ، (ط1)، ج5، ص211.
- (9) جاء عند بعض أهل العلم أنَّ موضوع السورة الرئيس هو: "بيان إهلاك الله للمكذبين بعد معاينتهم الآيات الدالة عليه سبحانه"، (عرفات عمر علي، دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1439هـ، (ط1)، ص507). كما جاء أنه: "التذكير بالآيات والنذر وبيان مصير المكذبين بها"، (مسلم مصطفى وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، 1431هـ، (ط1)، ج7، ص512).
- (10) كما تقدم عند التعريف بالسورة.

دراسة دلالية سياقية لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ ريم القاضي وجهاد النصيرات وسليمان الدفور

- (11) ابن فارس أحمد (توفي 395هـ/1005م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، ج3، ص267.
- (12) الزبيدي مرتضى (توفي 1205هـ/1791م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، (1385 - 1422 هـ)، ج3، ص112.
- (13) ينظر: الفراهيدي الخليل بن أحمد (توفي 170هـ/787م)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج6، ص256، وينظر: الهروي محمد بن أحمد (توفي 370هـ/981م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م، (ط1)، ج11، ص241، وينظر: ابن منظور محمد بن مكرم (توفي 711هـ/1312م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1414هـ، (ط3)، ج1، ص488، وينظر: أبادي الفيروز (توفي 817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1426هـ، (ط8)، ص100، وينظر: عمر أحمد مختار (توفي 1424هـ/2003م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 1429هـ، (ط1)، ج2، ص1181.
- (14) الفارابي إسماعيل بن حماد (توفي 393هـ/1003م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ، (ط4)، ج1، ص153.
- (15) ينظر: ابن سعيد نشوان (توفي 573هـ/1177م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د. حسن بن عبد الله وآخرون، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1420هـ، (ط1)، ج6، ص3415.
- (16) ينظر: الأزددي محمد بن الحسن (توفي 321هـ/933م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م، (ط1)، ج1، ص311، وينظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج11، ص241، وينظر: ابن عباد إسماعيل (توفي 385هـ/995م)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد آل ياسين، بيروت، عالم الكتب، 1414هـ، (ط1)، ج2، ص167، وينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص267، وينظر: الرازي زين الدين (توفي 666هـ/1267م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف محمد، بيروت، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، 1420هـ، (ط5)، ص163، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص488، وينظر: الفيومي أحمد بن محمد (توفي 770هـ/1368م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، ج1، ص308، وينظر: أبادي، القاموس المحيط، ص100، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، ص111، وينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1181.
- (17) ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج11، ص241، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص488، وينظر: أبادي، القاموس المحيط، ص100، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، ص111، وينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1181.
- (18) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص488.
- (19) ينظر: أبادي، القاموس المحيط، ص100، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، ص111، وينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1181.
- (20) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص75.
- (21) ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج4، ص120، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص200، وينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج11، ص53، وينظر: رضا أحمد، معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1378هـ، ج2، ص111.
- (22) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج11، ص53.

دراسة دلالية سياقية لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ ريم القاضي وجهاد النصيرات وسليمان الدقور

- (23) ينظر: الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2، ص 632، وينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 75، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 200، وينظر: رضا، معجم متن اللغة، ج 2، ص 111.
- (24) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 11، ص 51.
- (25) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 199، وينظر: أبادي، القاموس المحيط، ص 377، وينظر: رضا، معجم متن اللغة، ج 2، ص 110، وينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 1، ص 512.
- (26) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 11، ص 51.
- (27) ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 1، ص 512.
- (28) ينظر: رضا، معجم متن اللغة، ج 2، ص 110.
- (29) ينظر: الأصفهاني الراغب (توفي 502هـ/1108م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداوي، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ، (ط 1)، ص 448.
- (30) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 448-449. وستتم مناقشة هذه الدلالة عند بيان العلاقة بين التركيب القرآني ﴿كُلُّ شَرِّبٍ مُّخْتَصَرٌّ﴾ [28: القمر] مع التراكيب المشابهة، في المطلب الثاني بمشيئة الله.
- (31) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 491.
- (32) ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج 6، ص 256-257، وينظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج 11، ص 241-242، وينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 267، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 489، وينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ص 1182.
- (33) ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج 6، ص 256-257، وينظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج 11، ص 241-242، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 489، وينظر: أبادي، القاموس المحيط، ص 100، وينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ص 1182.
- (34) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 448-449.
- (35) ينظر: الزجاج إبراهيم (توفي 311هـ/923م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شليبي، بيروت، عالم الكتب، 1408هـ (ط 1)، ج 1، ص 141، وينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 448-449.
- (36) ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ص 1182.
- (37) ينظر: المصدر نفسه.
- (38) ابن سيده علي بن إسماعيل (توفي 458هـ/1065م)، المخصص، تحقيق: علي جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1417هـ، (ط 1)، ج 4، ص 319.
- (39) الهمداني المنتجب (توفي 643هـ/1245م)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: محمد الفتيح، المدينة، دار الزمان، 1427هـ، (ط 1)، ج 6، ص 54.
- (40) النجار زغلول (توفي 1447هـ/2025م)، من آيات الإعجاز العلمي (الحيوان في القرآن الكريم)، بيروت، دار المعرفة، 1427هـ، (ط 1)، ص 271.

A Contextual Semantic Study of the Divine Saying: "Every share of water is attended" [Al-Qamar 54:28] and Its Relationship with Similar Constructions and the Theme of the Surah

Abstract

This study aimed to uncover the semantic significance of the Quranic construction: "Every share of water is attended" (*kullu shirbin muhtaḍar*) [Al-Qamar 54:28], and to elucidate the relationship that connects it to similar constructions and the overarching theme of the surah. The study adopted the inductive, analytical, and deductive methodologies.

The study arrived at a number of findings, the most significant of which are: the construction carries a particular semantic significance stemming from the structure of its lexical components and the context of its occurrence. The word *shirb* denotes a specifically designated portion of water, while the word *muhtaḍar* signifies an actualized and manifest presence (*ḥuḍūr*). This conveys that the division of water is clearly regulated, leaving no room for transgression or concealment.

The study also revealed a semantic complementarity between this construction and similar constructions, through the diversity of rhetorical styles in presenting the division—between spatial and temporal dimensions, and between the explicit designation of the allotted share in entitlement—consistent with the purpose of the verses sent to humanity. This contributed to clarifying the nature of the miracle of the she-camel in the disciplined regulation of its drinking and the apportionment thereof.

It was further established that this construction plays a pivotal role within the surah, as it is integrated into its overall thematic framework of reminding humanity of the signs of God, and of elucidating the stances of the deniers and the consequences of their denial.

Keywords: *Shirb*, *Muhtaḍar*, Semantic Significance of the Construction, Surah Al-Qamar.